نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ
وَالاِسْتِرَامَة

إعداد

الهيئة العامة للشؤون الإسلامية والأوقاف والزكاة

1446هـ - 2024م

نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ
وَالاسْتِرَامَة

إعداد

الهيئة العامة للشؤون الإسلامية والأوقاف والزكاة

1446هـ - 2024م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي أرسل رسوله رحمة للعالمين، وقدوة للناس أجمعين، سبحانه هو ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى* وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ [الأعلى: 30]، والصلاة والسلام على نبيه الأمين، وعلى آله وأصحابه والتابعين.

أما بعد: فإن الحديث عن رسول الله ﷺ غوصٌ في بحر لا ينضب، وتتَبُّعٌ لنور لا يخفت، واستلهام لإرث مستدام لا ينقضي، نتعلم منه ﷺ ما ينفعنا في ديننا ودنيانا، ونستلهم ما به يستقيم عيشنا، فإنه ﷺ قد أرسل بالرحمة العامة، والهداية الشاملة، والخير المستدام؛ لجميع البشرية.

لقد كانت سيرته ﷺ مليئة بالتوجيهات القولية، والتطبيقات العملية؛ لمبادئ الاستدامة، بكل حيثياتها، وجميع جزئياتها، بدءا من الاهتمام باستدامة البيئية ومكوناتها، وانتهاء بالعناية بالاستدامة الاجتماعية ومقوماتها.

وانطلاقًا من ذلك؛ تقدِّم الهيئة العامة للشؤون الإسلامية والأوقاف والزكاة هذا الإصدار، بعنوان: «**نبينا محمد ﷺ والاستدامة**» ليطلع قارئه على العناية النبوية بالاستدامة؛ بغية الاقتداء بهديه، والتأسي بسيرته، واقتفاء أثره؛ لتحقيق السعادة في الدنيا والأخرى.

الهيئة العامة للشؤون الإسلامية والأوقاف والزكاة

استدامة النبي ﷺ

لموارد البيئة

لقد كان النبي ﷺ المثل الأعلى في استدامة البيئة، فإن المتأمل في سيرته ﷺ العطرة، يجدها مليئة بالمواقف النبوية، التي تبين اهتمامه ﷺ بالبيئة، وحثه على المحافظة على مواردها الطبيعية، من ماء، وحيوان، ونبات.

وهذا ما ستقف عنده في الصفحات الآتية:

استدامة الثروة المائية

الماء من نعم الله العظيمة، التي جعلها سببا للحياة، وزادا للأحياء، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: 30].

ولقد وجه نبينا ﷺ إلى المحافظة على الثروة المائية، وجعل ذلك من الصدقات الجارية، فقال ﷺ: «إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ ... نَهْرًا أَجْرَاهُ»[1].

ومن توجيهاته ﷺ في ذلك:

1

الأمر باستجلاب الماء؛ وذلك بالصلاة والدعاء حين الجفاف، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَحَطَ الْمَطَرُ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَسْقِيَنَا، فَدَعَا فَمُطِرْنَا، فَمَا كِدْنَا أَنْ نَصِلَ إِلَى مَنَازِلِنَا، فَمَا زِلْنَا نُمْطَرُ إِلَى الْجُمُعَةِ الْمُقْبِلَةِ، قَالَ: فَقَامَ ذَلِكَ الرَّجُلُ أَوْ غَيْرُهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَصْرِفَهُ عَنَّا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا» قَالَ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ السَّحَابَ يَتَقَطَّعُ يَمِينًا وَشِمَالًا، يُمْطَرُونَ وَلَا يُمْطَرُ أَهْلُ الْمَدِينَةِ[2].

2

الاعتدال في استعماله، وعدم الإسراف في استهلاكه؛ فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن الرسول ﷺ مر بسعد وهو يتوضأ فقال: «مَا هَذَا السَّرْفُ يَا سَعْدُ؟»، فقال: وهل في الماء سرف يا رسول الله؟ قال: «نَعَمْ! وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهْرٍ جَارٍ»[3].

وكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يقتصد في استعمال الماء في الوضوء، فيَتَوَضَّأُ بِمُدٍّ مِنْ مَاءٍ، وَيَغْتَسِلُ بِصَاعٍ[4].

3

الحفاظ على نظافته، والحرص على عدم تلويثه؛ قَالَ النبي ﷺ: «لَا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ الَّذِي لَا يَجْرِي، ثُمَّ يَغْتَسِلُ مِنْهُ»[6]، وقال ﷺ: «اتَّقُوا الْمَلَاعِنَ الثَّلَاثَ: الْبَرَازَ فِي الْمَوَارِدِ، وَالظِّلِّ، وَقَارِعَةِ الطَّرِيقِ»[7]. ومعنى الموارد: طرق الماء[8].

ونهى ﷺ عن التنفس في الإناء، أو النفخ فيه خشية تلويثه فقال ﷺ: «إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَتَنَفَّسْ فِي الْإِنَاءِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَعُودَ فَلْيُنَحِّ الْإِنَاءَ، ثُمَّ لِيَعُدْ إِنْ كَانَ يُرِيدُ»[9].

وقال ﷺ: «غَطُّوا الْإِنَاءَ، وَأَوْكُوا السِّقَاءَ»[10].

استدامة الثروة الزراعية

النباتُ طعام للإنسان والحيوان، قال تعالى: ﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ [النازعات: 33]. ولقد رغب النبي ﷺ بالمحافظة عليه، حتى ولو كان المرءُ على مشارف الموت، فقَالَ ﷺ: «إِنْ قَامَت السَّاعةُ وَفِي يَد أَحدكُم فَسيلةٌ فَإِنْ استَطاعَ أَنْ لَا تَقُومَ حَتى يَغرِسَهَا فَليَغرِسْهَا»[11]. وذلك لما للثروة النباتية من دور في تحقيق التوازن البيئي لنظام الكون.

ومن توجيهاته ﷺ في ذلك:

1 **الحث على استصلاح الأراضي؛** توسيعا للرقعة الخضراء: قال النبي ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِم يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلاَّ كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ»[12].

وقال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ، فَلْيَزْرَعْهَا أَوْ لِيَمْنَحْهَا أَخَاهُ»[13] وذلك لمعالجة كثير من الظواهر البيئية؛ مثل تصحر الأرض وانجرافها، وغيرها من المشكلات.

2 **النهي عن قطع الأشجار من دون ضرورة؛** يقول النبي ﷺ: «مَنْ قَطَعَ سِدْرَةً صَوَّبَ اللهُ رَأْسَهُ فِي النَّارِ»[16].

استدامة الثروة الحيوانية

الثروة الحيوانية من النعم التي سخرها الله تعالى للإنسان، فمنها مأكله ومشربه وملبسه ومركبه، قال تعالى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ، وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [النحل: 6] ولقد أمر النبي ﷺ بالمحافظة عليها، ونهى عن الإضرار بها، حرصا على استدامتها وبقائها، فقال: «اتَّقُوا اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ الْمُعْجَمَةِ»[17].

ومن توجيهاته ﷺ في ذلك:

1

الإحسان إليها، وعدم إهمالها أو تعذيبها؛ قال النبي ﷺ: «عُذِّبَتْ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَسَقَتْهَا إِذْ حَبَسَتْهَا وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ»[18].

ودخل عليه الصلاة والسلام حائطًا لرجل من الأنصار، فإذا جمل، فلما رأى النبي ﷺ حن وذرفت عيناه، فأتاه النبي ﷺ فمسح ذفراه فسكت، فقال: «مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ؟ لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ؟». فجاء فتى من الأنصار فقال: لي يا رسول الله. فقال ﷺ: «أَفَلَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا؟، فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ»[19].

2

إنقاذها إذا كانت في محنة: قَالَ رَسُول اللّه ﷺ: «بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ العَطَشُ، فَنَزَلَ بِئْرًا، فَشَرِبَ مِنْهَا، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ العَطَشِ، فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلُ الَّذِي بَلَغَ بِي، فَمَلأَ خُفَّهُ، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ، ثُمَّ رَقِيَ، فَسَقَى الكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّ لَنَا فِي البَهَائِمِ أَجْرًا؟ قَالَ: «فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ»[20].

وفي حديث آخر: «بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ فَنَزَعَتْ مُوقَهَا فَسَقَتْهُ فَغُفِرَ لَهَا بِهِ»[21].

3

تنميها، وتكثيرها: قال النبي ﷺ لأم هانئ: «اتَّخِذِي غَنَمًا فَإِنَّ فِيهَا بَرَكَةً»[22].

وشجع ﷺ على تربية الخيل وتنميته، فقال: «الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[23].

وحمى لبني شبابة أرضًا يستثمرون فيها خلايا النحل وينمونها، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، قال: كَانَ لِبَنِي شَبَابَةَ، بَطْنٌ مِنْ فَهْمٍ، كَانُوا يُؤَدُّونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى نَحْلٍ كَانَ لَهُمُ الْعُشْرَ، مِنْ كُلِّ عَشْرِ قِرَبٍ قِرْبَةٌ، وَكَانَ يَحْمِي وَادِيَيْنِ لَهُمْ[24].

استدامة النبي ﷺ

للموارد البشرية

أمر النبي ﷺ بحفظ النفس البشرية، وذلك من خلال الحث على حمايتها ورعايتها، والارتقاء بها، جسديًا، وروحيًا، وعقليًا.

وهذا ما ستقف عنده الصفحات الآتية:

الأمر بالمحافظة على النفس البشرية

إن حياة الإنسان ودوام سلامته من أهم المقاصد التي اهتم بها النبي ﷺ، فشدد في قتل الإنسان نفسه، قال ﷺ: «مَن تَردَّى من جَبَلٍ فقَتَلَ نَفسَهُ، فهُوَ في نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فيه خَالدًا مُخَلَّدًا فيهَا أبدًا، وَمَن تحسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفسَهُ، فَسُمُّهُ في يَده، يَتحسَّاهُ في نَارِ جَهَنَّمَ خَالدًا مُخَلَّدًا فيهَا أبدًا، وَمَن قتلَ نَفسَهُ بحَديدَة، فحديدَتُهُ في يَده، يَجَأُ بها في بَطْنه في نَارِ جَهَنَّمَ، خَالدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أبدًا»[25].

وحفظ ﷺ النفس البشرية بغض النظر عن العرق أو المعتقد.

ففي حق المسلم قال عليه الصلاة والسلام: «كُلُّ الْمُسْلم عَلَى الْمُسْلم حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ»[26]. وقال ﷺ: «الْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ»[27].

وفي حق غير المسلم قال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا»[28].

الحث على الوقاية والعلاج

بين رسول الله ﷺ أن لجسد الإنسان حقا عليه فقال: «إِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا ... فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ»[29].

ومن حق جسد الإنسان عليه أن يحفظ صحته، ويستديم عافيته، ويقيه من الأمراض والأسقام.

لذا حث النبي ﷺ على تجنب أسباب المرض ومواطنه، واتخاذ التدابير الوقائية والإجراءات الاحترازية، فعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ - أي: الطاعون- بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ»[30].

وقال ﷺ: «لَا يُورِدَنَّ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ»[31].

كما أمر ﷺ بالتداوي من الأمراض، فقال ﷺ: «تَدَاوَوْا عِبَادَ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً، إِلَّا وَضَعَ مَعَهُ شِفَاءً، إِلَّا الْهَرَمَ»[32].

وكان من دأب النبي ﷺ الإكثار من دعاء: «اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَدَنِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي سَمْعِي، اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي بَصَرِي»[33].

الترغيب في صون العقل وتغذيته

فقد حرص النبي ﷺ على التوجيه إلى كل ما يحافظ على العقل ويقيه من الأضرار، فحرم جميع المسكرات والمخدرات؛ قال ﷺ: «كُلُّ شَرَابٍ أَسْكَرَ فَهُوَ حَرَامٌ»[34].

وقال عليه الصلاة والسلام: «كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ، وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ»[35].

بل لقد حرم ﷺ -إمعانا في حفظ العقل- شرب القليل من المسكر، وإن لم يكن مسكرا، فقال ﷺ: «مَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ فَقَلِيلُهُ حَرَامٌ»[36].

وكما يكون الحفاظ على العقل بمنع المسكرات؛ كذلك يكون بوقايته من كل ما يرهقه أو يمنعه من الاضطلاع بدوره في التدبر والتفكير، كالسهر وقلة النوم.

كما دعا ﷺ إلى كل ما ينمي العقل ويرفع من قدرته، فوجه إلى الاهتمام بالعلوم والمعارف المفيدة، قال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ حَتَّى الْحِيتَانُ فِي الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»[37].

الحث على التزكية

من أهم ما ينمي النفس ويستديم خيرها: تزكيتها وتهذيبها، وتطهيرها من أدرانها، لذا أمرنا النبي ﷺ بذلك فقال: «ثَلاَثٌ مَنْ فَعَلَهُنَّ فَقَدْ طَعِمَ طَعْمَ الإِيمَانِ: -وذكر منها- وَزَكَّى عَبْدٌ نَفْسَهُ». فقال رجل: ما تزكية المرء نفسه يا رسول الله؟ قال: «يَعْلَمُ أَنَّ اللهَ مَعَهُ حَيْثُمَا كَانَ»[38].

ومما تتزكى به نفس الإنسان: التحلي بالفضائل والكمالات، والأخلاق الفاضلات، وتَمَثُّل أفضل السلوكيات، ولقد كان من دعاء النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ اهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَخْلاَقِ لاَ يَهْدِى لأَحْسَنِهَا إِلاَّ أَنْتَ وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لاَ يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلاَّ أَنْتَ»[39].

وحين سئل ﷺ: أي الناس أفضل؟ فقال: «كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ، صَدُوقِ اللِّسَانِ». قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: «هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لَا إِثْمَ فِيهِ، وَلَا بَغْيَ، وَلَا غِلَّ، وَلَا حَسَدَ»[40].

وعليه؛ فكمال الإنسان يكون بسمو روحه، ورقي أخلاقه، التي تقوده إلى تبني السلوكيات الحميدة، والممارسات السليمة.

استدامة النبي ﷺ
لتلاحم المجتمع

من أكبر مقومات الاستدامة، وأعظم سبل تحقيقها: ما يكون بين أبناء المجتمع من تواد وتآلف، وتعاون وتعاطف، به ينهضون بمجتمعهم، ويبنون وطنوهم.

ولقد كان لسيدنا ونبينا محمد ﷺ اهتمام واضح بهذا الجانب منذ أول دعوته في بداية بناء وطنه المدينة المنورة.

وهذا ما سنقف على بعض جوانبه في الصفحات الآتية:

الأمر بما يحقق الاستقرار المجتمعي

فإن استقرار المجتمع سبيل إلى استدامته ورقيه وازدهاره، فبه تصان النفس، ويحفظ الدين والعقل والمال والعرض، ويعم السلام، وتنتشر الرحمة بين الأنام، ولتحقيق الأمن الاجتماعي أمرنا النبي ﷺ بإكرام الجار ونهانا عن أذيته، قال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلَا يُؤْذِي جَارَهُ»[41].

ونهى ﷺ عن الفساد في الأرض أو إقرار المفسدين، فقال ﷺ: «مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا»[42]، فقد ألقى ﷺ مسؤولية الاستقرار المجتمعي على عاتق المجتمع بأسره؛ لأنه كتلة واحدة متماسكة، ما يؤثر في بعض أجزائه يؤثر في بقية الأجزاء.

الحث على التواصل بين أفراد المجتمع

لقد كان أول شيء حث عليه النبي ﷺ عند دخوله المدينة ما يحقق التآلف والتكافل بين الناس، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ المَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لِأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَبَنْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ، وَكَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِسَلَامٍ**»[43] فهذه الكلمات؛ تدل على أهمية التآلف والتآخي في تحقيق التنمية المجتمعية المستدامة، فبالسلام يتحقق التآلف، وبالتحاب والمودة يتحقق التعاون، وبالتعاون تتحقق التنمية، وبدوامهما تدوم.

ولم يكتف النبي ﷺ بهذا فحسب؛ بل شفع عليه الصلاة والسلام قوله بفعله، فآخى بين المؤمنين من سكان المدينة وبين من قدم إليهم من صحابة مكة رضي الله عنهم[44]، فكان من نتائج ذلك أن قَالَتِ الأَنْصَارُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اقْسِمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا النَّخِيلَ، قَالَ: «**لَا**» فَقَالُوا: تَكْفُونَا المَئُونَةَ، وَنَشْرَكُكُمْ فِي الثَّمَرَةِ، قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا[45].

الحض على التكافل المجتمعي

من أعظم ما يسهم في استدامة المجتمعات: التعاون والتكافل بين أفرادها، عملا بقول رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمنينَ في تَوَادِّهمْ وَتَرَاحُمهمْ مَثَلُ جَسَد وَاحد، إذَا اشْتَكَى الرَّأْسُ تَدَاعَى لَهُ سَائرُهُ بالسَّهَر وَالْحُمَّى»[46].

ومن أهم أوجه التكافل والتعاون: بذل المال في أوجه الخير والبر، قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَصدَّقَ بعَدْل تَمْرَة منْ كَسْب طَيِّب، وَلَا يَقْبَلُ الله إلَّا الطَّيِّبَ، وَإنَّ الله يَتَقَبَّلُهَا بيَمينه، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لصَاحبه، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، حَتَّى تَكُونَ مثْلَ الجَبَل»[47].

وجَاءَ رَجُلٌ إلَى النَّبيِّ ﷺ فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ فذكر له أعمالا منها قوله: «فَيُعِينُ الصَّانِعَ، وَيَصْنَعُ لِلْأَخْرَقِ»[48].

استدامة النبي ﷺ
للعلم والمعرفة

العلم من أهم مقومات الاستدامة، وأعظم سبل تحقيقها، لذا أولاه النبي ﷺ اهتماما بالغا، من خلال حثه على نقل العلوم والمعارف ونشرها، وأمره بتنميتها وبثها. ليستفيد اللَّاحِقِ من السابقِ، وتَدُوم العلومُ، وتستمرّ المعارفُ في الأجيال.

وهذا ما سنقف على بعض جوانبه في الصفحات الآتية:

الأمر بنقل المعارف وتبادل الخبرات

حث النبي ﷺ على نشر العلم وتعليمه، فبين فضل معلم الناس الخير في قوله: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْرَ»[49].

ودعا عليه الصلاة والسلام للمعلم بالخير فقال: «نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا، فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ»[50].

وبين أن تعليم العلم مما ينفع صاحبه في الدنيا والآخرة، فقال عليه الصلاة والسلام: «إِذَا مَاتَ الإِنسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلا مِنْ ثَلاثَةٍ: ومنها: عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ... »[51] وذلك يشملُ التأليفَ والتعليمَ والكتابةَ وغيرها مما يدوم أثره بين الأجيال.

وقال ﷺ: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الهُدَى والعِلْمِ كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضاً، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ المَاءَ فَأَنْبَتَتِ الكَلأَ والعُشْبَ الكَثِيرَ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ ونَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وعَلَّمَ»[53]. فقبول الماء هو تلقي العلم، وإنبات الكلأ هو تعليمه وبذله.

الحث على التأمل والتفكر

كان النبي ﷺ لا يترك فرصة سانحة للدعوة إلى التفكر والاعتبار إلا انتهزها، ومن أبرز ما ورد في ذلك أنه ذات ليلة من اللَّيَالي قَالَ لزوجته: «يَا عَائِشَةُ ذَرِينِي أَتَعَبَّدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي» فَقَامَ فَتَطَهَّرَ ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي قَالَتْ فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ حِجْرَهُ قَالَتْ ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ لِحْيَتَهُ قَالَتْ ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ الْأَرْضَ فَجَاءَ بِلَالٌ يُؤْذِنُهُ بِالصَّلَاةِ فَلَمَّا رَآهُ يَبْكِي قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ تَبْكِي وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَةٌ وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: 191-190]».

الخاتمة

إن هدي رسول الله ﷺ هدي شامل، وخلقه خلق كريم، فمن واجبنا أن نجعل من سيرته العطرة نبراسًا نهتدي به، ومن قيمه العالية ميثاقًا نعمل على تنزيله، لتحقيق السلام الأكمل، والرقي نحو الأفضل.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا للسير على خطى رسولنا الكريم ﷺ، وأن يرزقنا اتباع هديه القويم، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد

وعلى آله وصحبه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين.

الهوامش

(1) سنن ابن ماجه، أبواب السنة، باب ثواب معلم الناس الخير، رقم الحديث: 242.

(2) صحيح البخاري، كتاب الاستسقاء، باب الاستسقاء على المنبر، رقم الحديث: 1015، وصحيح مسلم، كتاب صلاة الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء، رقم الحديث: 897.

(3) سنن ابن ماجه، كتاب الطهارة وسننها، باب ما جاء في القصد في الوضوء وكراهية التعدي فيه، رقم الحديث: 225.

(4) مصنف ابن أبي شيبة، رقم الحديث: 713.

(5) صحيح البخاري، كتاب اللباس، تعليقًا.

(6) صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب البول في الماء الدائم، رقم الحديث: 239. وصحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب النهي عن البول في الماء الراكد، رقم الحديث: 282.

(7) سنن أبي داود، كتاب الطهارة، باب المواضع التي نُهي عن البول فيها، رقم الحديث: 26. وسنن ابن ماجه، كتاب الطهارة وسننها، باب النهي عن الخلاء على قارعة الطريق، رقم الحديث: 328.

(8) معالم السنن للخطابي، كتاب الطهارة، باب المواضع التي نهي عن البول فيها، 1/ 21.

(9) سنن ابن ماجه، كتاب الأشربة، باب التنفس في الإناء، رقم الحديث: 3427.

(10) صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السقاء وإغلاق

الأبواب وذكر اسم الله عليها وإطفاء السراج والنار عند النوم وكف الصبيان والمواشي بعد المغرب، رقم الحديث: 2012.

(11) صحيح البخاري: الأدب المفرد، باب صنع المال، رقم الحديث: 479.

(12) صحيح البخاري، كتاب الحرث والمزارعة، باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه، رقم الحديث: 2320. وصحيح مسلم، كتاب البيوع، باب فضل الغرس والزرع، رقم الحديث: 1553

(13) صحيح البخاري، كتاب المزارعة، باب ما كان من أصحاب النبي ﷺ يواسي بعضهم بعضا في الزراعة والثمرة، رقم الحديث: 2341، 3/107. وصحيح مسلم، كتاب البيوع، باب كراء الأرض، رقم الحديث: 1544.

(14) سنن أبي داود، كتاب الخراج والفيء والإمارة، باب في إحياء الموات، رقم الحديث: 3073.

(15) صحيح البخاري، كتاب الحرث والمزارعة، باب من أحيا أرضًا مواتًا، رقم الحديث: 2335.

(16) سنن أبي داود، أبواب النوم، باب في قطع السِّدْرِ، رقم الحديث: 5239.

(17) سنن أبي داود، باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم، رقم الحديث: 2548.

(18) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب خمس من الدواب فواسق، يقتلن في الحرم، رقم الحديث: 2218. وصحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم تعذيب الهرة ونحوها من الحيوان الذي لا يؤذي، رقم الحديث: 2242.

(19) سنن أبي داود، باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم، رقم الحديث 2549.

(20) صحيح البخاري، كتاب المساقاة، باب فضل سقي الماء، رقم الحديث: 2363. وصحيح مسلم، كتاب السلام، باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها، رقم الحديث: 2244.

(21) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حدثنا أبو اليمان، رقم الحديث: 3467.

(22) سنن ابن ماجه، كتاب التجارات، باب اتخاذ الماشية، رقم الحديث: 2304.

(23) صحيح البخاري، باب الخيل معقود في نواصيها الخير، رقم الحديث: 2850.

(24) سنن أبي داود، كتاب الزكاة، باب زكاة العسل، رقم الحديث: 1601.

(25) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب شرب السم والدواء به وبما يخاف من

الخبيث، رقم الحديث: 109.

(26) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره، رقم الحديث: 2564.

(27) سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب حرمة دم المؤمن وماله، رقم الحديث: 3934.

(28) صحيح البخاري، كتاب الجزية، باب إثم من قتل معاهدًا بغير جرم، رقم الحديث: 3166.

(29) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه أن يفطر في التطوع، رقم الحديث: 1968.

(30) صحيح البخاري، كتاب، الطب باب ما يذكر في الطاعون، رقم الحديث: 5729.

(31) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب لا هامة، رقم الحديث: 5771.

(32) سنن ابن ماجه، كتاب الطب، باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء، رقم الحديث: 3436.

(33) سنن أبي داود، أبواب النوم، باب ما يقول إذا أصبح، رقم الحديث: 5090.

(34) صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب لا يجوز الوضوء بالنبيذ ولا المسكر، رقم الحديث: 242. وصحيح مسلم كتاب الأشربة، باب بيان أن كل مسكر خمر، وأن كل خمر حرام، رقم الحديث: 2001.

(35) صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب بيان أن كل مسكر خمر وأن كل خمر حرام، رقم الحديث: 2003.

(36) سنن أبو داود، كتاب الأشربة، باب النهي عن المُسكر، رقم الحديث: 3681.

(37) سنن أبي داود، كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم، رقم الحديث: 3641.

(38) سنن البيهقي، كتاب الزكاة، باب لا يأخذ الساعي فيما يأخذ مريضًا ولا معيبًا وفي الإبل عدد الفرض صحيح، رقم الحديث: 7275.

(39) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، رقم الحديث: 771.

(40) سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب الورع والتقوى، رقم الحديث: 4216.

(41) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الوصاة بالنساء، رقم الحديث: 5185، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف، ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان، رقم الحديث: 47، 1/68.

(42) صحيح البخاري، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، رقم الحديث: 2493.

(43) سنن الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، رقم الحديث: 2485.

(44) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب مؤاخاة النبي ﷺ بين أصحابه رضي الله تعالى عنهم، رقم الحديث: 2529.

(45) صحيح البخاري، كتاب المزارعة، باب إذا قال: اكفني مئونة النخل وغيره، وتشركني في الثمر، رقم الحديث: 2325.

(46) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم: 1014، 702/2.

(47) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب لا يقبل الله الصدقة من غلول، رقم الحديث: 1410.

(48) مسند أحمد، رقم الحديث: 21449.

(49) سنن الترمذي، أبواب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، رقم الحديث: 2685.

(50) سنن أبي داود، كتاب العلم، باب فضل نشر العلم، رقم الحديث: 3660.

(51) صحيح مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، رقم الحديث: 1631.

(52) التنوير شرح الجامع الصغير، للصنعاني: 208/2.

(53) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم، رقم الحديث: 79. وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب بيان مثل ما بعث به النبي ﷺ من الهدى والعلم، رقم الحديث: 2282.

فهرس الموضوعات

المقدمة	3
استدامة النبي ﷺ لموارد البيئة	4
استدامة الثروة المائية	5
استدامة الثروة الزراعية	7
استدامة الثروة الحيوانية	8
استدامة النبي ﷺ للموارد البشرية	10
الأمر بالمحافظة على النفس البشرية	11
الحث على الوقاية والعلاج	12
الترغيب في صون العقل وتغذيته	13
الحث على التزكية	14
استدامة النبي ﷺ لتلاحم المجتمع	15
الأمر بما يحقق الاستقرار المجتمعي	16
الحث على التواصل بين أفراد المجتمع	17
الحض على التكافل المجتمعي	18
استدامة النبي ﷺ للعلم والمعرفة	19
الأمر بنقل المعارف وتبادل الخبرات	20
الحث على التأمل والتفكر	21
الخاتمة	22

حقوق الطبع محفوظة

للهيئة العامة للشؤون الإسلامية

والأوقاف والزكاة

1446 هـ - 2024 م